15em Année No. 725

Lundi — 26 — 5 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٢٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٦ رجب سنة ١٣٦٦ — ٢٦ مايو سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

عجائب الشـــحاذين وأصحاب الملايين !

للأستاذ عباس محمود العقاد

هذه العجائب وتلك — كلتاهما من عجائب أميركا .

وهى بلاد العجائب بغير حدود من المكان ولا من طبقات السكان ؛ فإنها لتجود بالعجائب فى الشمال وفى الوسط وفى الجنوب ، وإنها لتجود بها على أيدى « المتسولين » كما تجود بها على أيدى أصحاب الملايين .

وأعجب العجائب حقاً ما جاء من الوسط على رواية بعض الأنباء البرقية . ولا عجب ... فإنك لتستطيع أن تقول « أعجب العجائب الوسط » كما تقول خير الأمور الوسط . فلا تعدو الصواب .

وبلاد المكسيك هى البلاد الوسطى بين الشمال والجنوب فى القارتين الأمريكيتين .

وعجيبتها المروية هى عجيبة الشحاذين ، وهى أعجب ما سمعناه من بلاد العجائب فى هذه الأيام .

ورد عن صحيفة « اليونفرسال جرافيكو » المكسيكية أن الشحاذين فى عاصمة المكسيك قد اتفقوا على الحد الأدنى الذى ينبغى أن يقبلوه ليكون لهم عمل يجد على قدر المستطاع . وقرروا أن يرفضوا نصف المليم ولا يمدوا أيديهم إلى مادون خمسة مليمات ، وعليهم أن يرفضوا الصدقة إذا نقصت عن القيمة المقررة على الوجه الذى يرونه بالغاً فى التأنيب واللامة . حسبما يقتضيه الموقف أو يقتضيه الحال » .

هذا هو الخبر العجيب !

وهو ولا شك من « علامات الزمن » كما يقولون . لأننا فى زمن الإدعاء والطلب بالحق وبالباطل : كلٌ يزعم له حقاً وكل يطالب بحق ، حتى من لا عمل له ولا معول له على نفسه . وما من أحد قط يذكر الواجب عليه أو ينظر إلى حقوق الآخرين .

وقد كانت مصر تدعى من قديم الزمن ببلاد العجائب ، أو تدعى على الأصح ببلاد المفارقات .

وكان أهل مصر يقولون على سبيل الإغراب فى الدلالة على التبجح والصفاقة : « حسنة وأنا سيدك ! » ويخيل إليهم أنها غاية الغايات فى الإدعاء وقلة الحياء . ولكنه عصر غابر وعجائب تاريخية وأزمنة متأخرة ... وما هى فى حساب بلاد العجائب على الطراز الحديث إلا من وقائع الصحافة وأخبار كل يوم !

ترى ماذا يكون لو قوبلت هذه « الحقوق » بالرفض والإهمال من فريق « المتعصبين » ؟

أيضرب أصحاب الحقوق ؟

لو فعلوا لكان خطراً جسيما على المحسنين . لأنهم يبحثون عن أبواب السماء فلا يجدونها ، ويدورون على أبواب الوجاهة

والظاهر فيقال لهم « يحنن » أو يرزقكم الله . ودقة بدقة أو بدقات ، وطرقة على الأبواب بطرقة على الأبواب أو بطرقات ! ويكون الجزاء على هذا من جنس العمل ، فى شريعة من لايعملون!

وإذا صح أن الصدقة باب السماء فقد أصبحت مقاليد السماء إذن فى أيدى «سدنة» العصر الحديث ، وهم أبناء السبيل أو أبناء محراب الطريق .

وكل ما بقى من منافذ الرجاء للمحسنين الساكين أن يكون للسماء أكثر من باب واحد .

فعسى أن يبحث عنه المحسنون موفقين .

وعسى ألا يسبقهم كهان السبيل على الأبواب .

ومتى أصبحت « الشحاذة » على هذا المنوال فلسوف يصبح كل محسن فى العصر الحديث على غرار ذلك المحسن الوحيد الذى قال فيه الشاعر العربى :

تراه إذا ما جئتـــه متهللا كأنك تعطيه الذى أنت سائله!

***

تلك هى أعجوبة الشحاذين .

أما أعجوبة أصحاب الملايين فمن محاصيل الشمال فى تلك البلاد التى فاضت بجميع أنواع المحاصيل .

وأما بطلها العجيب فهو رجل يدعى « البرت لايت » باع مصانعه وقصوره وسياراته وقبع هو وزوجته فى خمس حجرات مزرية فى أقليم فلادلفيا ... وقال لمن سألوه : ولم اكتفيت بهذه الحجرات الخمس وهى من مساكن أصحاب الكفاف ؟

فقال : إنها جهد ما تستطيع الزوجة العاملة أن تتولاه بالخدمة والرعاية ، وهى مع ذلك كافية لمأواه ومأوى ذويه الأقربين .

لو كان هذا الرجل فى الشرق لحجروا عليه ، واتهموه بالجنون المطبق ولم يكن قصاراه من التهمة أنه مخلوق عجيب .

على أنه فى الحق عجيب بين الناس لأنه نادر المثال بينهم ، لا لأنه غير مفهوم أو لأنه منحرف عن منهاج العقل السليم .

فالعقل كل العقل ما صنع وحده .

والعجب كل العجب ما يصنعه جميع الناس فى كل مكان .

لأن الناس لايعجبون لرجل يودع عشرين مليوناً من الذهب فى مصرف من المصارف ولا يحتاج إلى درهم منها لنفقة يومه أو غده ، أو لنفقة أحد ممن تلزمه النفقة عليه .

وما الفرق بين عشرين مليوناً من الذهب باسمك أنت وعشرين مليوناً من الذهب باسم رجل آخر تعرفه أو لا تعرفه بين مخلوقات الله الذين يحسبون باللايين .

ما الفرق بين مال تملكه ومال لا تملكه على هذا الحساب ؟

ما الفرق بين مليم تستغنى عنه وألف مليون من الدنانير تستغنى عنها ؟

لا فرق بينهما فى حساب العقل السليم .

بل ربما كان الفرق فى هذه الحالة أن المليم أفضل وأوفر من ألف المليون .

لأن هم المليم فى التفكير والحساب أهون من هم الألوف والمئات والعشرات .

وكل ما هنالك أنه تنافس على الهباء أو بطر ومزاح فى تلفيق المخاوف والأخطار .

تنافس على الهباء ليقال إن صاحب الألف أغنى من صاحب المائة أو العشرة .

وبطر أو مزاح فى تلفيق المخاوف والأخطار ، لأنك تضحك من تلك المخاوف والأخطار لو لم تكن قادراً على توهم الحاجة واختلاقها من العدم ، وأنت لا تخلقها من العدم لو استغنيت عنها واستغنيت عن تلك الأموال .

غنى من الوهم تدفع به حاجة من الوهم . فأنت فى غناك وفى حاجتك من الواهمين .

وإنما الغنى الصحيح كل مال تحوّل فى نفسك إلى إحساس صحيح . فلا قيمة للمال لايمثله فى خزانة النفس رصيد من الإحساس ، وكل ما فى خزائن الأرض من الذهب والفضة هو مالك أنت إذا كان قصاراك من المال أن تجمعه فى خزانة أو تكتبه فى أوراق المصرف بحروف اسمك بدلا من سائر الحروف .

أكان « ألبرت لايت » عجيباً كما وصفته الصحف ووصفه قراء الخبر فى المغرب والمشرق ؟

نعم إذا كان العجيب هو النادر المخالف للمألوف .

وكلا وألف مرة كلا كما يقول خطباء الحماسة إذا كان العجيب هو الشائع المخالف للمعقول .